جدل النقاد المعاصرين حول إشكالية الأصمعي "الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان"

امحمد بارش
قسم الآداب واللّغة العربية
جامعة الإخوة منتوري قسنطينة

ملخص:
تدرس هذه المقالة موقف الأصمعي من الشعر الإسلامي لحسان بن ثابت ، ودراسة الجدل الذي أثاره موقفه بين علماء الأدب والنقد المعاصرين الذين انقسموا في مواقفهم بين القائلين برأي الأصمعي والمعارضين له ، ووضحت كيف أن إشكالية الأصمعي " الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان " لم تقف عند رأي واحد ؛ حيث بين كل فريق رأيه وأدلته وموقفه فيما ذهب إليه ، كما درست حجج وآراء الموقفين وأوجه الخلاف بينهما.
الكلمات المفتاحية: جدل ; النقاد المعاصرين ; إشكالية الأصمعي ; الشعر ; باب الخير; لان.

Abstract:
This article studies the position of ALASMAEI in front of the Islamic poetry HASSN IBN TABET and studies the dispute that its position has evoked among scholars of contemporary literature and criticism were divided in their position between those who agree with ALASMAEI and his opponents.
I explained how the issue of ALASMAEI "poetry when the inserted door of good becomes very easy" It does not edge to a single viewpoint while each group showed its views, its priority and its position in what has cited. I also studied the arguments and opinions and differences between the two positions.

مقدّمة:

طرح الأصمعي عبد الملك بن قريب (122- 216هـ-740- 828م) قضية نقدية مهمة جدا ، كانت لها آثار قوية في مسار النقد الأدبي ، وصدى في الحركة النقدية في عصره وبعده ، وهي إشكالية ، " الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان "، وتعد هذه المقولة من القضايا النقدية التي أثارها الأصمعي في القرن الثاني الهجري ، وهي تعكس روح الجدل النقدي في عصره ،حول شعر الصحابي حسان بن ثابت الأنصاري (ت54هـ674م).

© جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1،الجزائر2016

وقد أثارت هذه " الإشكالية " النقدية جدلا عميقا وقويا بين علماء اللغة والأدب والنقاد قديما وحديثا ، وأسالت كثيرا من الحبر ، ومازلت ذات اهتمام بالغ الأهمية لدى الباحثين والدارسين والنقاد المعاصرين ، نظرا لكون هذه الإشكالية لم تقف عند رأي واحد في كتب النقد وتاريخ الشعر العربي عند القدماء والمعاصرين .

وإذا كان القدماء قد قالوا الكثير حول هذا الموضوع ، فما هو موقف النقاد المعاصرين ؟ وما هي أهم القراءات التي قدموها لهذه القضية ؟ وإلى أي مدى اختلفوا في معالجتهم لها ؟ .

تلك هي الأسئلة التي سنحاول الإجابة عنها في هذا البحث .

أولا : موقف الأصمعي من شعر حسان بن ثابت:

يتجلى موقف الأصمعي من شعر حسان بن ثابت من خلال بعض نصوصه المأثورة عنه، والتي روتها بعض مصادر الشعر ونقده، فجاء في كتاب"الشعر والشعراء " لابن قتيبة في معرض حديثه عن حسان بن ثابت، وقد أورد مقولة الأصمعي فقال : « قال الأصمعي : الشعر نكد بابه الشر فإذا دخل في الخير ضعف هذا حسان (بن ثابت) فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره ، وقال مرة أخرى : شعر حسان بن ثابت في الجاهلية من أجود الشعر قطع متنه في الإسلام لحال النبي – صلى الله عليه وسلم - » [1] .

واتبعه المرزباني في هذه المسالة النقدية وخالفه في بعض ألفاظه ، فجاء في " الموشح ": « قال الأصمعي: طريق الشعر إدا أدخلته في باب الخير لان ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي– صلى الله عليه وسلم- وحمزة وجعفر- رضوان الله عليهما وغيرهم- لان شعره، وطريق الشعر هو طريق الفحول مثل : امرئ القيس وزهير والنابغة ، من صفات الديار والرحل ، والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان »[2] .

وقال الأصمعي في بعض محاوراته:« حسان بن ثابت أحد فحول الشعراء ، فقال أبو حاتم (ت255هـ869م): تأتي له أشعار لينة ، فقال الأصمعي : تنسب إليه أشعار لا تصح عنه » [3] .

فنص الأصمعي في الروايتين رغم صغره إلا أنه واضح الدلالة، له قيمته الفكرية والأدبية والنقدية الدقيقة والمركزة، وهو نص قديم، وقف عنده النقاد وقفة مستطيلة، وأثار جدلا نقديا عميقا قديما وحديثا، بين المؤيدين لرؤيته النقدية، والمدافعين عن شاعرية حسان بن ثابت، لأن نص « مقال الأصمعي في ضعف هذا اللون من الشعر يضيق حينا يقتصر على رثائه، ويتسع أحيانا ليشمل كل شعره الإسلامي » [4] .

وبالتالي فإن كلام الأصمعي على مستوى خطابه النقدي في نصه، لا يعد نظرية ولا شبه نظرية، وإنما هو قول نقدي شاع عنه في مصادر الأدب والنقد ومراجعهما، وبين النقاد قديما وحديثا، على أساس أنه حكم على الشعر الإسلامي لحسان بالليونة، والمعروف عن الأصمعي أنه من علماء البصرة ورواة الشعر، والمولعين بغريب اللغة، ومن القائلين بفكرة شياطين الشعر والشعراء، وهي من الأفكار التي تخلى عنها حسان نظرا لدخوله عالما جديدا هو عالم الإسلام .

ومن هنا يمكن طرح السؤال الآتي: هل الأصمعي جمع شعر حسان بن ثابت وقرأه كله، ثم أعطى حكمه على بعض شعره ؟. وهذا السؤال نفسه يدفعنا إلى أن نتساءل : لماذا لم يعمل* الأصمعي ديوان حسان بن ثابت ولم يرويه كما روى وعمل دواوين كثيرة للشعراء واكتفى بنقد شعره ؟ .

للإجابة عن هذين السؤالين يمكننا القول: إن الأصمعي لم يجمع شعر حسان بن ثابت، ولم يصنع ديوانه، رغم أنه عمل ديواني: ابنه عبد الرحمن بن حسان، وحفيده سعيد بن عبد الرحمن بن حسان، واكتفى بإبداء رأيه في شعر حسان، وترك جمع شعره وصناعة الديوان إلى غيره من العلماء بالشعر .

وعلى هذا الأساس يمكن القول: إن ما جذب النقاد وألهب لذّتهم في قراءة مقولة الأصمعي، وتأييده أو نقده والرد عليه، والدفاع عن شعر حسان، هو كلمته " ضعف " و " **لأنَ** " التي تطورت دلالتها وتحولت إلى مصطلح نقدي، ونشأ منها حول شعر حسان بن ثابت خطاب نقدي حاد بين العلماء والنقاد والباحثين قديما وحديثا، ولعل الخطاب النقدي الناتج عن الخلفية الفكرية " لليونة " ظل على مستو الوعي الثقافي

العربي يتجدد باستمرار في مجال الجدل النقدي، لأن كل الدارسين والباحثين الذين درسوا أدب العصر الإسلامي وقفوا عند شعراء الرسول– صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن رواحة (ت8ه) وكعب بن مالك (ت50ه) وبخاصة حسان بن ثابت (ت54ه)، الذي أبدى الأصمعي رأيه في بعض شعره، هذا الرأي الذي تقادم بنحو أكثر من ألف ومائتي سنة، وهو أول رأي نقدي أثار الكثير من القراءات والتساؤلات والتأويلات، وردود أفعال مختلفة من طرف العلماء والنقاد عبر العصور.

والواضح أن مصطلح" الليونة " ليس جديدا في عهد الأصمعي، بل القرآن العظيم وظف هذا المصطلح ووقف عنده وخاطب به أنبياء الله ورسله، ودعاهم إلى المعاملة بالرفق والقول اللين مع المرسلين إليهم، فجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم أن جذر **(ل ي ن)** وما اشتق منه دل على أن « **لان** : الشيء **يلين لينا** : سهل وذهبت صلابته، فهو **لين .** ويقال**: لان** الرجل لقومه: انقاد لهم، وعاملهم بالرفق...و**ألان** الشيء **يلينه**: جعله **لينا** خاليا من الصلابة » [5]. فجاء في القرآن العظيم في دلالة " **لِنْتَ**" قوله تعالى مخاطبا نبيه الكريم**:**آ (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَ نْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**) [آل عمران جزء الآية: 159].

وكذلك « القول اللين: القول الرقيق تتقبله النفس بقبول حسن» [6]. فجاء في القرآن العظيم في دلالة **"لَّيِّنًا "** قوله تعالى : **(فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**) [طه الآية :44]. ودلالة " **قَوْلاً لَّيِّنًا** " في الآية « أن
دَعوتهما له [أي لفرعون] تكون بكلام رقيق **لين،** سهل رقيق ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع » [7] .

ومن اللغويين من قال: إن « البر أيضا يكون بلين الكلام، وبر والده إذا لقيه بجميل القول والفعل قال الراجز :

بني إن البر شيء هين وجه طليق وكلام لين » [8] .

ومن هذه الدلالات يكون مصطلح " الليونة " خطابا ذا دلالة دينية وفكرية، وأدبية، لها بعدها النقدي، باعتبار الكلام اللين ضمن الكلام الأدبي، فاستعمَل القرآن العظيم خطاب الليونة مع الأنبياء والرسل قديما، والرسول– صلى الله عليه وسلم - ، واستعملته العرب في كلامها، وبالتالي فالليونة من هذه الوجهة مصطلح أدبي معروف بجميع دلالاته عند الصحابة، وعند الصحابة الشعراء، فهم يعرفون كل ما جاء في القرآن العظيم وما دلت عليه " الليونة ". في كلام العرب قبل أن تتحول إلى مصطلح نقدي عند الأصمعي .

وعلى هذا يمكننا أن نتساءل هل قصد حسان بن ثابت الليونة التي يتحدث عنها الأصمعي في شعره لذاتها ؟ أم أن طابعه الشعري جاء وفق روح العصر وثقافته ؟ أم أن شعره الإسلامي بقي محافظا على فحولته ؟ .

لقد تجلى لنا بكل تأكيد من خلال المحاورة بين الأصمعي وأبي حاتم - في شأن شعر حسان في قوله له : " تأتي له أشعار لينة، فقال الأصمعي: تنسب إليه أشعار لا تصح عنه ". - خلط شعر حسان الصحيح بما وضع عليه، وأن هذا الخلط بكل تأكيد يقلل من حدة دلالة الليونة التي يتصورها الأصمعي على أنها سمة سلبية في الشعر الإسلامي لحسان .

ومهما يكن من أمر إثبات أو نفي الليونة عن شعر حسان، فإنه يمكننا أن نسأل عن مقولة الأصمعي: هل أن الشعر إذا أُدخِلَ في باب الخير يلين ؟.

في حقيقة الأمر فإن هذا السؤال وغيره يجيب عنه النقاد المعاصرون الذين تجادلوا حول هذه المسألة النقدية المهمة، أي إشكالية الأصمعي " الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان"، في هذه الوريقات.

وبعد أن عرضنا لمناقشة ظهور موقف الأصمعي من شعر حسان بن ثابت من خلال إشكالية مصطلح **الليين**، وبعد تبيان دلالة الليونة، وكيف ظهر هذا المصطلح في القرآن العظيم، وتطور قبل ظهوره عند الأصمعي . وقبل أن نعرض إجابة النقاد، علينا أن نبين ما مدى أثر **هذه** الإشكالية **في النقد الأدبي العربي المعاصر** .

ثانيا:أما عن مدى أثر إشكالية "الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان" في النقد الأدبي العربي المعاصر:

فمن الجلي أن أقوال الأصمعي في شعر حسان لم يكن لها أي تأثير في عصره؛ حيث كان الجدل قائما في ذلك الوقت بينه وبين العلماء الرواة واللغويون حول شعر حسان، وكان الإجماع قائما على الاعتراف بشاعريته في الجاهلية والإسلام، وإنما كان لهذه " الإشكالية " تأثير بعد عصر الأصمعي؛ حيث خلفت جدلا واسعا عبر قرون من الزمن لدى أجيال عديدة، فرددها كثير من العلماء والنقاد والمؤرخين والدارسين، واتضح من خلال تداولها في كتب النقد أن شعر حسان بن ثابت الأنصاري كان الأكثر اهتماما بالدرس النقدي من طرف النقاد ، كما نتج

عن ذلك أراء وأحكام نقدية مازالت آثارها تتجدد في الدرس النقدي، إلى يومنا هذا.

ثالثا: أثر مقولة الأصمعي في الحركة النقدية العربية المعاصرة :

لقد أدى الجدل النقدي بين العلماء والنقاد المعاصرين حول إشكالية الأصمعي ، وإثبات الليونة والضعف في شعر حسان من عدمها، إلى تشكيل قراءتين أو موقفين نقديين، وردود أفعال متباينة بين القائلين برأي الأصمعي، والنافين له ، إذ كل فريق يحاول أن يقدم حججه وبراهينه على صحة ما يذهب إليه، ويتضح هذا من خلال ما يأتي:

1- حجج و آراء القائلين حديثا بمقولة الأصمعي :

يرى النقاد المعاصرين القائلين برأي الأصمعي أن سبب ليونة وتراجع الشعر الإسلامي لحسان يعود إلى ما يأتي:

أ- ذكر بعض النقاد أن اللين يرجع إلى شيخوخته[9].و « قد مس بعض المعاني الإسلامية الجديدة غير المألوفة في الجاهلية ، لأن القول فيما ألفه الناس ، القول فيه أسهل من القول في الجديد غير المألوف، أو لكثرة ما خالطها من ألفاظ الإسلام وأحداثه »[10].

ب- وقالوا : « إن شاعرية حسان تقل وضوحا وقوة في الإسلام عنها في الجاهلية، لأن الشعر في هذا العهد أصبح وسيلة عملية، ليس هدفا فنيا، وأن حسان صار واحدا من مجموعة أنصار تقف شعرها على ملاحاة المشركين والدفاع عن رسول الله ، يقوم كل منهما بنصيبه في الغرض المشترك »[11].

ج- وعدوا من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى ليونة شعر حسان « أن الإسلام أبطل كثيرا من بواعث الشر كالتشبيب بالنساء، والنشوة بالخمر، وعصبية الجاهلية، وحب الانتقام والهجاء المفحش مما يهيج الشاعر ويلهب شعوره فتجيش نفسه بقوة الشعر »[12].

د-وذهبوا إلى أن تَبَلّد شيطان حسان[13]،وخلو شعره من تقاليد المعجم الشعري الجاهلي[14]، وتكلفه ومجاملاته في رثائه ، وعدم إستجادته الكذب الفني ، أدى إلى ضعف شعره[15]. هذه الحجج تعكس مواقف أصحابها وهي تعد إضافات توضيحية لقراءتهم لموقف الأصمعي، وتأييدا له. ويمكن إبراز آرائهم ومناقشتها، من خلال :

يعد **عبد العزيز الكفراوي** من النقاد المعاصرين الذي قرأ إشكالية الأصمعي قراءة فنية، أكد فيها نظرة الثعالبي بقوة فقال: « إن هناك مواقف تبلد فيها شيطان حسان، فيستعصى عليه الشعر استعصاء، ومن تلك المناسبات غدر هذيل بسرية من سرايا الرسول – صلى الله عليه وسلم - غدرا قبيحا بقتل بعض رجالها وتسليم الآخرين إلى قريش ليقتلوهم ، وهذه الحادثة كانت حَرية بأن تثير أقوى الانفعالات ، ولكن حسان ينشد فيها كثير من المقطوعات فيأتي فيها شعره فاترا ضعيفا »[16] .

والواضح أن النظرة إلى شيطان الشعر هي نظرة جاهلية قديمة؛ حيث كان الاعتقاد سائدا، بأن الشياطين تقول الشعر على ألسنة الشعراء . ولما جاء الإسلام ولت هذه النظرة التي كان الشعر فيها مرتبطا بالخرافة، كما تغير مفهوم الشعر؛ حيث أصبح من نتاج الشاعر.

ولهذا فإن قول الكفراوي: " تبلد فيها شيطان حسان "، فهو حكم نقدي غير صائب ولا يمكن الموافقة عليه أو الإقرار به، لأنه لما جاء الإسلام تغيرت النظرة إلى الشعر كما تغيرت وظيفته، حيث أصبحت الأحداث هي التي تحرك التجربة الفنية لدى الشاعر، بالإضافة إلى ذلك توجيهات الرسول– صلى الله عليه وسلم - للشعراء، وأوامره لهم بالرد على المشركين، والدعاء لحسان بمؤازرة جبريل – عليه

السلام - له، وفي هذا روي عن عدي بن ثابت الأنصاري، أنه سمع البراء بن عازب الأنصاري يقول: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم - لحسان: « اهجهم– أو هاجهم - وجبريل معك »[17]. وفي حديث عنه– صلى الله عليه وسلم - أنه قال: « أمرت عبد الله بن رواحة، فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفى وأشتفى »[18].

والشاهد في هذه الأحاديث، هو الأحكام النقدية القوية التي تبرهن على صحة قوة فحولة حسان وشاعريته في هجائه للمشركين، لأن شعره نابع من التزامه بعقيدة جديدة، ونظرة جديدة للحياة والفن، وبالتالي لا يمكن أن نتصور أن يسمع حسان هذه الأقوال والدعاء له من طرف الرسول– صلى الله عليه وسلم -، فتضعف شاعريته ويلين قوله ويَرِك .

أما من يرجع ليونة وضعف شعر حسان بن ثابت إلى شيخوخته، فإن هذه الحجة غير مؤسسة وعارية من الصحة، والمعروف عنه أن « شيخوخته لم تمنعه من قول الشعر الحماسي »[19].وأن العمر الذي أدرك به حسان الإسلام، كان مرحلة بلغت فيها تجربته الشعرية ذروتها، « وما السنين عند من عمر مائة وعشرين عاما بشيخوخة مفسدة لفنه، ولكنها واسطة العقد، وحلقة الاكتمال والنضج، وبداية فن جديد، لشاعر محنك، دفعته الدوافع إلى خوض معركة الجهاد الإسلامي بشعره، وقد حرم خوضها بسيفه، فخاضها متحمسا متمرسا، وقد أكسبته بلاغة التنزيل وفصاحة الرسول وحكمة الشريعة قوة وعذوبة »[20].

ومن المعاصرين القائلين بمقولة الأصمعي **عبد القادر القط**، الذي أخرج حسان بن ثابت من دائرة الشعراء الفحول، ونفى عنه الإبداع جاهلية وإسلاما، وذلك بسبب لغة الشعر المدنية، ولقد سجل ملاحظاته حول شعر حسان بعدما تحدث عن ضعف شعره الإسلامي عامة، حيث قال: « وأول ما نلاحظه في ذلك الشعر الجاهلي مسحة "مدنية "- إن صح هذا التعبير- تميز أسلوبه عن أغلب الشعر في الجاهلية، فهو يكاد يخلو من ذلك " المعجم الشعري " المألوف عند فحول الشعراء الجاهليين، حتى ليوشك أن يكون قريب الشبه في لغته بلغة العصر الإسلامي نفسه، والشاعر لا يكاد يلم بتلك الموضوعات المعهودة في شعر كبار الجاهليين من وصف للرحلة ومظاهر الطبيعة والراحلة وأنواع الوحوش، والحيوان، وهي موضوعات لاحظنا أن هؤلاء الشعراء كانوا يستخدمون في تصويرها كثيرا من **"الغريب"** ويعتمدون فيها على كثير من المعاني والصور المشتركة فيما بينهم ، ولعل تجنب حسان هذه الموضوعات كان من أسباب تجنبه تلك الأساليب، إلى جانب حياته في المدينة وبعده النسبي عن حياة البادية ولغتها »[21].

ويقف **عبد القادر القط** عند اللغة المدنية للشاعر، فيقول: « على أن هذه اللغة المدنية- إذا كانت قد أَضْفَت على شعره طابعا من "السهولة" وانسياب النغم،- قد حرمته تلك اللفتات النفسية والومضات الفنية الكثيرة التي نصادفها في شعر الفحول من شعراء الجاهليين، والحق إن حسان بن ثابت لا يمكن بحال أن يعد من هؤلاء الفحول، فهو دونهم في الموهبة والقدرة اللغوية وسعة التجربة وصدق الملاحظة، ولعلنا لو وضعناه في موضعه الصحيح بالنسبة لهؤلاء الشعراء، - نضع قضية ضعف شعره بعد الإسلام في موضعها الصحيح أيضا-، إذ ثبت لدينا أنه لم يكن في قمة من قمم الإبداع في الجاهلين ثم هوى عنها بعد الإسلام »[22].

كل هذا التعليق حوْل شعر حسان الجاهلي يعطينا صورة ناطقة لشخصية الشاعر ،الذي كان له طابعه الشعري الخاص في الجاهلية، فالشاعر ابن بيئته في لغته وأسلوبه وموضوعاته، وفي كل هذا كان حسان يتجنب الغريب الذي خاض فيه الشعراء الجاهليين، وبالتالي فإن حسان شقّ لفكره وفنه ولغته منذ الجاهلية جدولا وأسلوبا فنيا خاصا به، وفق طابع الحياة المدنية. فلماذا يُلزَم حسان بموضوعات الحياة البدوية وهو حضري ؟.

وفي رأينا إذا كان طابع السهولة أساسه اللغة المدنية، فكيف لنا أن نكلف حسان بطابع لغوي ليس من طبعه وبيئته ؟، لهذا فإن الأحكام النقدية التي أطلقها عبد القادر القط حول شعر حسان فيها شيء من الشطط ، لأنه يُعد سهولة لغة شعر حسان وخلوها من الغريب، ضعفا في المقدرة اللغوية، وبعدا عن الفحول، فعلينا أن ننظر إلى شعر حسان وأسلوبه المدني وإلى القضايا التي أثارها في شعره، لأن النقاد

القداماء أقروا بشاعرية حسان وفحولته في الجاهلية والإسلام، وهو صاحب تجربة شعرية مخضرمة تكشف علو قدره وقامته الشعرية بين الشعراء في لغته وفكره وفنه ، حيث عاصر حسان في الجاهلية الفحول من الشعراء، والشعراء النقاد ، وكان مبدعا في شعره وقد اعترف له النابغة الذبياني بالشاعرية، قال القرطبي: « وأدرك النابغة الذبياني، وأنشده من شعره ، وأنشد الأعشى، وكلاهما قال له : أنت شاعر »[23].

وقد ذكروا « أن الحطيئة وقف على حسان بن ثابت وهو ينشد من شعره، فقال له حسان وهو لا يعرفه: كيف تسمع هذا الشعر يا أعرابي ؟ قال الحطيئة : لا أرى به بأسا، وغضب حسان وقال: اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابي، ماكنيتك ؟ قال: أبو مليكة، قال: ما كنت قط أهون عليّ منك حين كنيت بامرأة ، فما اسمك ؟ قال : الحطيئة، فقال حسان: أمض بسلام »[24]. « ومع خبث الحطيئة في الهجاء لم يتعرض لحسان »[25]، ولكن عندما حضرت الحطيئة الوفاة قال: « أبلغوا الأنصار، أن شاعرهم أشعر العرب حيث يقول: [الطويل]

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل» [26].

ومن المعاصرين القائلين بمقولة الأصمعي عبد الله حمادي ، الذي وقف عند إشكالية الأصمعي وحاول في دراسته " الدين بمعزل عن الشعر" [27]، قراءة رأي الأصمعي قراءة فكرية وفنية ، فأيّده فيما ذهب إليه، وحاول إبراز دوافع الأصمعي إلى مقولاته، وتعلق النقاد بها . كما حاول أن يستخلص بعض القيم والأحكام النقدية ليوضح من خلالها نظرته في فهم إشكالية الأصمعي.

وفي هذه الدراسة وتحت عنوان فرعي: " تكريس مبدأ الدين بمعزل عن الشعر "[28]، خلص إلى أن: ضعف شعر حسان يعود إلى التكلف في مراثيه ، وإلى عدم إستجادته الكذب الفني، ودخول في باب الخير والمجاملات المجانية . ويمكننا توضيح نظرته فيما يأتي :

1- قال عبد الله حمادي : إنّ « الأصمعي بعد أن تدبر مليا في الشعر في العصر الإسلامي الأول، والذي ورث

مباشرة عصر الجاهليين، فقال حكمه المأثور الذي حمله النقاد القدامى والمعاصرين على أكثر من محمل، وقوله هذا هو " أن طريق الشعر إذا أدخلته إلى باب الخير لان "، وقد استخلص هذا الرأي بعد أن لاحظ على حسان بن ثابت ضعفه الواضح في مراثيه- ربما المتكلفة- لرسول الله– صلى الله عليه وسلم -، ولأصحابه من أمثال حمزة وجعفر-رضوان الله عليهم -»[29].

إن الملاحظ لهذا الرأي يجد أن عبد الله حمادي بعد إشارته إلى تأويل النقاد قديما وحديثا لمقولة الأصمعي، هو كذلك يعطي تأويلا لم يقل به غيره - وهو " تكلف حسان في المراثي" بدون أن يوضح كيف تكلف حسان في مراثيه ؟ ولماذا تكلف ؟.مع أننا لا نرى تكلفا في ذلك ، حيث جاءت مراثي حسان تتماشى مع طبيعة الموقف ، وحسان واحد من الصحابة الذين تأثروا لوفاة الصحابة، ولوفاة الرسول– صلى الله عليه وسلم -، وبالتالي فهو يسجل غرضا إسلاميا جديدا وهو الرثاء، الذي كان مقتصرا على النساء .

2- كما وقف عبد الله حمادي عند مصطلح "باب الخير " فقال: « فباب الخير هنا ، كما أكد عليه الأصمعي ليس المقصود به ضعف شعر الشعراء الذين اعتنقوا العقيدة الإسلامية، كما انجر العديد من النقاد إلى ذلك...بل مقصد هذا المصطلح هو فني بحت ، فسبب ليونة الشعر التي لاحظها الأصمعي ناجمة عن حياد ماهية الشعر عن حقيقتها الجوهرية المتمثلة في استحسان الكذب الفني، وقول مالا يمكن إدراكه بالفعل كما نصت عليه الآية الكريمة**»[30] .

إن حسان بن ثابت في حقيقة الأمر لم يخرج عن دائرة الشعر، بل قد خرج عن دائرة الكذب، لأنه يعرف أن الشعر يزينه الكذب ، وهو بهذا حاول أن يعطي تجربة شعرية جديدة تتجاوب مع التزامه بطبيعة الحال بروح العصر ومجرى عقيدته ، وفق المعايير التي وجهه إليها الرسول– صلى الله عليه وسلم -، و بالتالي فإن حسان بعد أن وعى التجربتين الشعريتين: الجاهلية والإسلامية معا، رأى أنه ملتزم بإجادة قول الشعر وفق الرؤية الجديدة، لأنه قد ترك "إستجادة الكذب الفني " بعدما قال عبارته المشهورة

:" الشعر يزينه الكذب "، لأن حسان دفعته فراسة إيمانه أن يفرق بين الصدق الخلقي والفني وبين المبالغة، أو الكذب، وبالتالي فكل ما قاله من شعر فهو صادق فيه يعبر عن تجربة شعرية واعية .

3- أما مسألة " مجاملات حسان في شعره " فيقول عبد الله حمادي : « هاهو الأصمعي يقول : "بأن حسان علا في الجاهلية والإسلام " ولكن متى انحط ؟ لقد انحط لما خرج عن دائرة الشعر الحقيقية وتحول إلى مجاملات مجانية ، أو إلى مواعظ وإرشادات هي من اختصاص رجال الدين...وبذلك حاد الشاعر عن إستجادة الكذب الفني، الذي نصح بضرورة وجوده النابغة ، وأكد عليه رومان جاكبسون فيما بعد »[31].

إن إشارة الباحث في الدراسة نفسها إلى النابغة ، فقد اعتمد على نص لأبي علي الحاتمي يقول فيه: « وجدت العلماء بالشعر يعيبون على أبيات الإغراق، ويختلفون في استهجانها واستحسانها، ويعجب بعضهم بها وذلك على حسب ما يوافق طباعه واختياره ، ويرون أنها من إبداع الشاعر الذي يوجب الفضلة له . ويقولون : **إن أحسن الشعر أكذبه** . وإن الغلو إنما يراد به المبالغة ، قالوا: وإذا أتى الشاعر من الغلو بما يخرج به عن الموجود ، ويدخل في باب المعدوم ، فإنما يراد به المثل وبلوغ الغاية في النعت ، واحتجوا بقول النابغة وقد سئل من أشعر الناس؟ فقال : **من أستجيد كذبه** »[32] .

وأما إشارة عبد اله حمادي إلى"رأي جاكبسون"، فكان ذلك أثناء حديثة عن لغة الشعر المبدعة فقال: « إن الطقس الشعري...بحث دؤوب على كل ما هو ليس شائعا ولا مطلقا للمعيار العام، واللغة فيه تبغ أحيانا درجة من الشذوذ ، وشذوذها هو الذي يكسبها رؤية وأسلوبا من نوع خاص...وهو ما أدركه النقد الأوروبي بعد خمسة عشر قرنا أو أزيد، فجاء إقرارهم بهذه الظاهرة الفنية المناقضة للظاهرة الأرسطية على لسان أحد النقاد المعاصرين المشاهير وهو رومان جاكبسون في كتابه " قضايا الشعر " ، فقال كما قال النابغة : " **الشعر هو في جميع الأحوال كذب، والشاعر الذي لا يقدم على الكذب بدون تردد بدءا من الكلمة الأولى لا قيمة فيه**"»[33].

كما أشار عبد الله حمادي في معرض حديثه عن الكذب الفني إلى(**يَقُولُونَ مَا لاَيَفْعَلُونَ**)، فقال: « أعتقد أن هذا التوافق فيه أكثر من دليل على أن عبارة "**الكذب" و" يَقُولُونَ مَالاَيَفْعَلُونَ** " ، هي من خصوصيات فن الشعر الرفيع المتحرر من قيود الواقع بما فيه القيم والشعائر الدينية والأشياء الثابتة ، وهو أحد المظاهر الانقلابية في ماهية الشعر بوصفه طاقة مسكونة بحساسية جمالية محايثة »[34].

ففي هذه الآراء نجد عبد الله حمادي يظهر أن سبب انحطاط المستوى الفني لشعر حسان هو خروجه عن دائرة الشعر الحقيقية ، وولوجه في عالم المجاملات والمواعظ والإرشاد ، ومن هنا فإن مسالة ضعف وليونة شعر حسان في نظره ، تعود أساسا إلى سبب فكري فني بحت ، فلو تمسك حسان بدائرة الشعر الحقيقية وهي " إستجادة الكذب الفني"، لما خرج شعره إلى التكلف والمجاملات.

لكن هذه النظرة أراها لا تنطبق على حسان ، لأن حسان لم يدخل في مجاملات أو مواعظ وإرشادات، فقد كان سيفا للإسلام والرسول– صلى الله عليه وسلم -لم يبن له المنبر إلا بعدما جربه فوجده ينطق عن الحق، وحسان أستبدل المثل والقيم الجاهلية، بالمثل والقيم الجديدة، بمعنى أنه غير معجمه الشعري الجاهلي بالمعجم الإسلامي، وتجاوب معه في كل الأغراض، لهذا ضمه القرآن العظيم في آية الاستثناء من سورة الشعراء (**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**...) جزء الآية 227 ، فكيف يمكن لنا أن نخرج حسان من هذا الاستثناء الرباني ، ونحشره فيما حشر فيه ابن الزبعرى وهبيرة بن وهب وغيرهم من شعراء قريش؟. في (**يَقُولُونَ مَالاَيَفْعَلُونَ**) ، هذا الاستثناء القرآني هو الذي جعل حسان يتخلى عن الكذب ، وقد سمع الرسول– صلى الله عليه وسلم - شعر حسان في رثائه لحمزة وغيره من الصحابة الذين استشهدوا في حياته- صلى الله عليه وسلم - ولم تسجل لنا مصادر السيرة والنقد أية ملاحظة للرسول على تلك المراثي، باستثناء رأي الأصمعي.أو كيف يمكن إخضاع أمر قد بت فيه القرآن العظيم إلى نظرية الفن للفن؟.

وأما نظرة النابغة للشعر فهي منظور فني خاص، لأن تلك النظرة الفنية أوجدتها ظروف حضارية وعقائدية معينة ، وقد عايشها حسان ثم تخلى عنها لما وجد البديل في المنظور الإسلامي بكل روافده.

وأما جاكبسون فقد يكون التقى بعد قرون في نظرته الفنية للشعر، مع النظرة العربية القديمة، لكنه يبقى ابن بيئته، ويعبر عن بيئة أدبية معينة، لها ثقافتها ومعتقدها، وبالتالي لا يمكن إخضاع المعطيات الإسلامية التي بلورها حسان في شعره بعد تجربته مع الرسول– صلى الله عليه وسلم -، وتأييد جبريل- عليه السلام - له ، لنظرية جاكبسون، لأن لكل عصر ولكل بيئة ولكل لسان ولكل حضارة أدبها ونظرتها الفنية للشعر ونقده.

ولو سلمنا جدلا أن شعر حسان " تحرر من قيود الواقع بما فيه القيم والشعائر الدينية والأشياء الثابتة " كما يقول عبد الله حمادي، لرفض ذلك الرسول– صلى الله عليه وسلم -، وأمر حسان بأن يلتزم بواقعه الاجتماعي والديني وقيمه .

وهكذا فإن القراءة التي قدمها القائلون برأي الأصمعي تؤكد ليونة وضعف شعر حسان، ونفي الفحولة عنه في شعره الإسلامي، وإن أحكامهم تراوحت بين الأحكام الجزئية؛ حيث كان الحكم على غرض الرثاء، والأحكام العمومية التي شملت كل شعره ، وبالتالي فهي عند الأصمعي لا تعبر إلا عن رأي واحد، وهي عند النقاد تعبر عن إثارة الجدل، دون الغوص في إعطاء البرهان والحجة المقنعة، وذلك لأنهم لم يفرزوا شعره الصحيح من الشعر المنحول والموضوع عليه، وتبقى أفكار وأحكام النقاد القائلين بمقولة الأصمعي مجرد قيم نقدية حاولوا إضافتها لتوضيح موقف الأصمعي من شعر حسان ، وتفسير المرجعية الفكرية والنقدية لمقولته ، وتبرير قراءتهم لها قراءة فنية نقدية .

2- حجج و آراء المعارضين لمقولة الأصمعي :

يتجلى في الجانب الآخر من النقد **موقف النقاد المعاصرين المعارضين** لـــــ"إشكالية " ليونة الشعر الإسلامي لحسان ، فقد رفضوا موقف الأصمعي ومن ذهب مذهبه جملة وتفصيلا، نافين بذلك ليونة وضعف شعر حسان، فذهبوا إلى أن شعره الصحيح يعبر عن بيئته في جاهليته وإسلامه، وأن ما ظهر من ليونة فيه، لم يكن في شعره الصحيح، وأن حسانا واحدا من فحول الشعراء القلائل الذين أدركوا الإسلام، وأخذ بحظ وافر من فكر ولغة العصر، معتبرين مقولة الأصمعي لا ترق إلى مستوى إثبات وتثبيت الضعف والليونة والركاكة في شعر حسان ، لأنها اتكأت على الشعر المنحول والموضوع عليه.

وهؤلاء النقاد، والباحثين المعاصرين، يعارضون الأصمعي فيما ذهب إليه. مبرزين حججهم على صحة ما ذهبوا إليه ، مؤكدين أن سبب لين شعر حسان يعود إلى أن كثيرا من هذا الشعر الذي يحتج به ضده قد حمل عليه إما لسبب اختلاط الرواية، واختلاط شعره ببعض أشعار معاصريه، أو لأسباب سياسية . ويتضح هذا فيما يأتي:

أ- لقد نسبت لحسان أشعار كثيرة وضعتها عليه قريش[35] . ولم يتمكن الرواة من غربلتها.

ب- أدى ضعف رواية الشعر إلى اختلاط شعر حسان بن ثابت بأشعار معاصريه من الأنصار وخاصة كعب ابن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وعبد الرحمن بن حسان و غيرهم[36]

ج- لقد حمل على حسان لأسباب سياسية « أشعاره المملوءة غيظا على قتلة عثمان، فإن كثيرا منها وضعه الأمويون ليظهروا للناس أن شاعر الرسول– صلى الله عليه وسلم -، كان في صفهم ليغسلوا عنهم عار الأشعار التي نظمها حسان في هجاء أسرهم حين كان أبو سفيان من رؤوسها يقود الجيوش ضد الرسول– صلى الله عليه وسلم -، ويحادونه ومثلها ما يضاف إليه من أشعار في مدح الزبير بن العوام ، وعبد الله بن عباس ، وكأن الأحزاب السياسية لعبت دورا كبيرا في وضع الشعر على لسانه »[37].

هذه الحجج إلتف حولها لفيف من العلماء والنقاد والمؤرخين وأقروا بفحولة حسان وشاعريته في الجاهلية والإسلام ، رافضين بذلك مقولة الأصمعي ، وكانت آراؤهم مستقاة من قراءتهم للشعر الإسلامي لحسان، ويأتي في مقدمتهم :

عبد الرحمن البرقوقي الذي حاول أن يبرهن في قراءته على أن ما في الشعر الإسلامي لحسان من ليونة ،لم يكن نتيجة عدم تمكن حسان من الشعر، وإنما هي الطابع الإسلامي المتمثل في تأثير القرآن العظيم وأسلوبه في الحياة الدينية والفكرية والأدبية النقدية والجمالية، والحضارة التي تفرق بين شعر البداوة ، والشعر المدني، فقال : « فالذي أراه، أن شعر حسان في الإسلام لا يقل في جزالته عن شعره

في الجاهلية ، بيد أن هناك قوافي يمدح بها سيدنا رسول الله وأخرى يرثيه بها ليست في الحق قوية قوة سائر شعره ، وقد قال الأصمعي في ذلك : " تنسب إليه أشياء لا تصح عنه " وهذا فيما يظهر صحيح ، وكثيرا ما رأيت في سيرة ابن هشام أبياتا لحسان من هذا القبيل يعقبها صاحب السيرة بقوله :" وأهل العلم ينفيها عن حسان..." »[38]، ثم نجده يرد على الأصمعي ويبرر الليونة في شعر حسان إذا ثبتت هذه الليونة، فقال: « وإذا صحت هذه الأشعار اللينة التي تنسب إلى حسان فإنه يسهل تعليل هذه الليونة بأشياء ، منها : تأثير أسلوب القرآن الكريم ذلك الأسلوب الناصع البيان المطرد السياق، الواضح الطريقة المتساوق الأغراض، السهل الممتنع المشرق المونق المعجز الذي تراه كالشمس قريبا ضوؤها بعيدا مكانها...ثاني الأمور: أن حسان شاعر مدني نشأ في المدينة وخالط آل جفنة ، ثم جاء الإسلام فأسلم وخالطت بشاشة هذا الدين قلبه ، فكان لابد من أن يلين جانبه وترقّ حاشيته وَتَسْلَس ملكته الفنية ، فيجافي عن جفوة الأعراب وخشونة الجاهلية ، ويتجانف عن الغريب الحوشي وعن الكلام الأجوف الذي تسمع له جعجعة ولا ترى له طحينا ، وعن الغلو والإفراط والزخرف وما إلى ذلك من كل ما هو بسبيل من الكذب الذي يعنونه بقولهم : أصدق الشعر أكذبه...وهذا ما كان من حسان في شعره بعد إسلامه وهذا الذي يسميه الأصمعي وغير الأصمعي غرابة الألفاظ وضخامة الأسلوب ، وهذه هي القوة عندهم »[39] .

فالبرقوقي كان واضحا في آخر النص حيث بيّن بأن الأصمعي قيم شعر حسان وفق منهج، لا لعلة في الشعر الصحيح لحسان. والبرقوقي في وجهة نظره ينفي ليونة الشعر عن حسان معتمدا على رأي الأصمعي الذي يقول : " تنسب إليه أشياء لا تصح عنه" ، واعتمد كذلك على صاحب السيرة عبد الملك بن هشام الذي أحتج بآراء العلماء الذين ينفون بعض القصائد عن حسان ، بقوله : " و أهل العلم ينفيها عن حسان " ، ثم يؤكد أنه إذا صحت عن حسان بعض الأشعار اللينة فهذا يرجع أساسا إلى تأثره بالقرآن الكريم .

والبرقوقي برأيه هذا، يرى أن حسانا شاعر مدني تأثر بالإسلام الذي انتشر في المدينة ، ذلك أن الشعر يتأثر تأثرا قويا بالعوامل البيئية التي يتقلب فيها الشاعر، وكذا المحيط العمراني والثقافي والديني والأدبي، وما يفتح من خلاله من نوافذ جديدة في الإبداع، والذوق، لها بصمتها ونكهتها الخاصة التي تفوح من خلالها رائحة العصر الذي ينتمي إليه الشاعر ، مقلدا ومجددا في آن واحد .

والواضح من هذا أن رأي الأصمعي يستند في أغلب الأحيان إلى روايات كانت تروى عن شعر حسان فيها بعض الصالح، والكثير من الطالح، ولا شك في أن الأصمعي كان يطبق بحذافيره منهجا نقديا صارما يتلاءم على الأغلب مع الروح التقليدية للشعر، أكثر من تلاؤمه للروح التجديدية للشعر .

ثم إنّ **شوقي ضيف** يبرز رأيه في قراءته لمقولة الأصمعي بوضوح ويؤكد فيه نفي الليونة عن شعر حسان، ويؤكد الوضع والانتحال الذي دخل شعره ، فقال: « إن شعر حسان الإسلامي كثر الوضع فيه ، وهذا هو السبب فيما يتسع في بعض الأشعار المنسوبة إليه من ركاكة وهلهلة لا لأن شعره لان وضعف في الإسلام كما زعم الأصمعي، ولكن لأنه دخله كثير من الوضع والانتحال »[40].

وقد حاول شوقي ضيف توضيح اختلاط شعر حسان بأشعار الأنصار معاصريه، فقال:« من ذلك أنه نسبت له قصيدتين أضيفتا إليه إلى كعب بن مالك، ونسبت ثالثة: إلى عبد الله بن الحارث السهمي، ورابعة: إلى معقل ابن خويلد الهذبي، وخامسة: إلى ربيعة بن أمية الديلي، وقيل بل هي لأبي أسامة الجشمي. ونسبت سادسة: إلى ابنه عبد الرحمن...ووجدنا قطعة لعبد الله بن رواحة تضاف إليه، وهي في رثاء نافع بن بُديل، وكذلك أضيفت إليه قطعة ثانية لعبد الله بن رواحة وهي في رثاء عثمان، وأيضا أضيفت إليه مقطوعة بائية في هجرة الرسول– صلى الله عليه وسلم -، ونصرة الأوس والخزرج له، ونص الرواية على أنها لِصِرْمة بن أبي أنس الأنصاري ، ونسب له بيتان في الفخر بالأزد وهما لسعد بن الحصين الأنصاري، ونسبت له مقطوعة رائيّة، وهي لبشر بن سعد بن الحصين »[41].

فشوقي ضيف في هذا النص يؤكد رأي البرقوقي، ويقترب منه فكرياً وفنيا، كما أنه يؤكد على أن نحل الشعر في عهد الرواية الشفويةلم يسلم منه شعر حسان الذي كثر فيه الوضع ، وأُخلط بشعر معاصريه من الصحابة .

وكذلك كان موقف **محمد طاهر درويش** الذي ناقش رأي الأصمعي، وحاول أن يفنّد دعوى الليونة والضعف في شعر حسان، وردّ المقوله إلى صاحبها، مشيدا ومبرزا سمات فحولة شعر حسان الجاهلي والإسلامي، من حيث الأغراض والمعاني والديباجة ، حيث تكسوه فحولة الجاهليين والمخضرمين فقال :

1- « إذا كان غرضه من الليونة السهولة والدماثة والتخلّي عن بعض ما في الشعر الجاهلي من غرابة في اللفظ أو وعورة في الأسلوب فليس ذلك بعيب ، بل إنه لدليل على تأثر حسان ببيئته من ناحية ، ثم تأثره بأسلوب القرآن الكريم السهل الناصع المشرق، المونق من ناحية أخرى، وهي ظاهرة طبيعية لا يضار بها حسان، وإنما العيب أن ينشأ حسان في المدينة ويعاشر آل جفنة، ثم يسلم ويقرأ القرآن ويصاحب الرسول ، وتخالط بشاشة الإسلام قلبه، ثم لا يلين جانبه، وترق حاشيته وتسلس ملكاته الفنية ويتأثر بتعاليم الإسلام وروحه الجديدة »[42].

والواضح أن هذا الرأي يوافق ما ذهب إليه البرقوقي، ويؤكد أن الإسلام والحضارة قد لعبتا دورا كبيرا في ليونة
أسلوبه.

2- وقال محمد الطاهر درويش مفنّدا رأي الأصمعي الذي اعتمد في الحكم على شعر حسان على الرواية الشفوية: « إن نقد الأصمعي قد يكون منصبا على شعر ليس الآن من شعر الدّيوان، ولا يدخل في نطاق الدرس، لأنه قال ما قال في وقت كان شعر حسان ما يزال في أفواه الرواة ، ولم يوضع بعد موضع التدوين، و لم يعرض له محمد بن حبيب بالنظر والتمحيص و التحقيق والتوثيق »[43] .

ومعنى هذا أن الرواة كان لهم دور فعّال في تقويل حسان ما لم يقله ، ولكنّ الأصمعي لم تلفت نظره مسألة الرواة وما ينحلونه من شعر للشعراء ، إلا بعد أن التقى بأبي حاتم السجستاني الذي لفت انتباهه إلى ما فعله الرواة بشعر حسان عندئذ قال : " تنسب إليه أشعار لا تصح عنه ".

3- وأضاف محمد طاهر درويش نتيجة مهمة فيما يخص حكم الأصمعي على شعر حسان، فقال: « فالحكم على شعر حسان بالليونة والضع حكم جائر فطير ، وعلى من يتصدى لمثل هذا الحكم أن ينظر في شعره الجاهلي والإسلامي كله ، ويرى مبلغ اتصال كل منهما ببيئته ، وملاءمته للأوضاع والأحوال التي لابسته ، وتجاوبه مع المناسبات التي دعت إليه، وتأثيره وتأثره بما حوله ومبلغ كل منهما في موضعه ، وتمثله لعصره ، وجريه على سنن الشعر ، وحظه من لغته ومزاياه ، وسينتهي به النظر إلى شعره جميعه في ذلك سواء ، وإذا كان شعره الجاهلي موضع تقدير إجماعي، فإن شعره الإسلامي لا يقل عنه جودة ، فقد جال حسان في كل أغراض الشعر، وهام في وديانه، إلا تحسين الخمر، وتصرف في سائر الفنون وأتى بالمعاني الجديدة، وكانت ديباجته ديباجة عصره ، وأسلوبه أسلوب الفحول الجاهليين والمخضرمين »[44].

ومن هنا، فمحمد طاهر درويش بقراءته لإشكالية الأصمعي ينفي الليونة عن شعر حسان ، ويؤكد أن مستوى إبداعه في شعره الجاهلي والإسلامي في منزلة واحدة في جميع الأغراض الشعرية ، ما عدا غرض الخمر فلم يرد في فنه الإسلامي.

أما **محمد إبراهيم جمعة** فقد أثبت في قراءته لرأي الأصمعي، أن حسانا شاعر فحل مبدع في شعره الجاهلي والإسلامي، فقال : «إن من يتعمق ديوان حسان، يجد أن فحولة شعره لم تفارقه في جاهليته وإسلامه وفي فخامته وعذوبته، ولا شك أن ما يظهر من لين أو ضعف في بعض إسلامياته ليس أصيلا في فنه، وإنما هو عارض ساقته ظروف طارئة، أو منحول دس عليه بغرض ديني أو فكاهي »[45].

وأضاف قائلا: « إن فن حسان الشعري قد أكتمل في جاهليته وازداد إيمانه في إسلامه؛ حيث رغب في أن يكون شاعر الرسول، فكان شاعره الأول، مؤيدا بروح القدس، وكان عميد الشعر الإسلامي، لم يلحق به من حضر الإسلام وسائر الشعراء »[46].

ورأي محمد إبراهيم جمعة، يعكس موقفه الايجابي من شاعرية حسان بن ثابت، ويؤكد أن فحولة شعره استمرت وازدادت تألقا بعد إسلامه وتأييده بروح القدس والرسول – صلى الله عليه وسلم -.

ويعد **فايز ترحيني** من النقاد الذين نفوا مقولة الأصمعي، ونفى أن يكون الإسلام سببا في ضعف الشعر، مؤكدا فحولة حسان فقال: « وأما القول بأن شعر حسان لان وضعف بسبب موقف الإسلام من الشعر، ففيه شيء من المبالغة، لأن عصر الفحول قد انقضى قبيل الإسلام، ولم يبق منهم في الإسلام سوى حسان نفسه وكعب بن زهير، والحطيئة، وهؤلاء جميعا من فحول الصف الثاني ، إضافة إلى لبيد الذي كف عن قول الشعر بعد إسلامه »[47] .

ثم أضاف مبينا سبب ما قيل عن الليونة في شعر حسان فقال :« ولعل اللين الذي رمي به حسان وأقره هو نفسه، ليس إلاّ سهولة وعذوبة آتية من اطّراح الحوشي، ومخالطة الحضارة والثقافات المختلفة اقتضتها الرغبة في ذيوع الدعوة الإسلامية القائمة على الواقعية والصدق والبعد عن الخيال الكاذب والمغالاة »[48].

ولعل ما رآه عبد القادر القط في شعر حسان وعده سببا في ضعف الشعر الإسلامي لحسان في لغته وأسلوبه، يؤكده فايز ترحيني ويعده ميزة إيجابية خاصة بأسلوب حسان الذي شق لنفسه طريقا في شعره، فقال: «...وهكذا نجد أن تحلل أسلوب حسان من المعجم الجاهلي حتى في أيام جاهليته، وتردد في لغته بين ألفاظ الفحول في الجاهلية ، وبساطة اللفظة الإسلامية وسهولتها، وبالإضافة إلى المسحة المدنية التي وسمت أسلوبه جميعا، كل ذلك جعل لحسان مدرسة أسلوبية خاصة به، وهذا ما دعا بعض النقاد إلى القول: إن شعر حسان لان وضعف في الإسلام وفي كلامهم شيء من المبالغة »[49].

وقد ضم **عبد الله بن محمد أبو داهش** موقفه إلى النقاد القائلين بنفي مقولة الأصمعي ، مبرزا خصائص شعر حسان الإسلامي وفق نظرة نقدية موضوعية، رد من خلالها إلى الأصمعي مقولته، فقال: « ويمكن دفع هذه المقولة بشيء من النظر العلمي الدقيق ، إذ يتصف شعر حسان في الإسلام بالصدق ، والاعتدال في القول ، لم يصرف تعبيره نحو التهويل والمبالغة ، وإنما اعتدل في رؤيته ، وصدر عن حقائق مقبولة موافقة لمنهج المسلم »[50].

أما **منذر معاليقي** فقد رد على القائلين بضعف شعر حسان بنفي رأيهم، لأن شعر حسان الصحيح سالم من الضعف، وكل ما وقع فيه الالتباس، إنما هو في الشعر الموضع عليه، مثبتا بذلك فحولته فقال:« إن شعر حسان لم يضعف في الإسلام حسب بعض النقاد ، لأن ما وجد في شعره من لين وضعف لم يكن في شعره الصحيح، بل هو مشكوك فيه وعارض، ومن فعل الواضعين بدليل أن فحولة الشعر لم تفارقه في جاهليته وإسلامه »[51].

وما يمكن قوله من خلال مواقف كل من : **محمد إبراهيم جمعة ، وفايز ترحيني ، وعبد الله بن محمد أبو داهش ، ومنذر معاليقي** ، في قراءتهم لمقولة الأصمعي ، إن هؤلاء جميعهم يؤكدون فحولة شاعريته حسان، التي لم تفارقه في جاهليته وإسلامه، وينفون الليونة والضعف عن شعره الإسلامي، لأن ما وجد من ليونة في بعض شعره، ليس من خصوصيات لغته وأسلوبه، بل نجم عما هو مشكوك فيه وما وضع عليه من شعر.

وهكذا نجد الباحثين والنقاد المعاصرين النافين لمقولة الأصمعي ومن ذهب مذهبه ، أجمعوا على أن حسان بن ثابت شاعر فحل في جاهليته وإسلامه ، وأن ما وصف به شعره من ضعف ولين وركاكة لم يكن في شعره الصحيح، وأن شعره الإسلامي واكب التطور الفكري والأدبي والفني واللغوي في عصره . فقال شعره في كل الأغراض الشعرية فأجاد فيها، وجاء شعره بعيدا عن المبالغة والتهويل، جانحا إلى الصدق والواقعية، بعيدا عن الخيال الكاذب فطابقت رؤيته الفنية فكرته الدينية .

الخاتمـــة :

بعد مناقشة إشكالية الأصمعي، واستعراض المواقف الجدلية السلبية والايجابية للنقاد المعاصرين، ودراسة هذه المواقف النقدية من جميع جوانبها، توصلنا إلى النتائج الآتية :

1- إن إشكالية ليونة شعر حسان الإسلامي من القضايا النقدية القديمة التي أثارها الأصمعي في القرن الثاني الهجري ، نتيجة تعلقه بفكرة شياطين الشعراء، وبحثه عن غريب اللغة في الشّعر، حيث حاول الأصمعي تطبيق منهجه الفكري ، "مقياس غريب اللغة" الذي طبقه -على شعر الأعراب "البدو"-على شعر حسان "المدني". لهذا جاءت قراءته لشعر حسان الإسلامي قراءة معتمدة على الرواية الشفوية،

وحجته في ذلك غير مقنعة، لأنه بنى رأيه على ما حُمل على حسان من شعر، قبل أن يهتم بديوانه محمد بن حبيب .

2- وتبقى مقولة الأصمعي رأيا لم يحدث تغييرا في موازين النقد العربي، بل بقيت مقولته فكرة جدلية، لأن النقاد المعاصرين حددوا من خلال قراءتهم لمقولته موقفين نقديين من الشعر الإسلامي لحسان : موقف سلبي وموقف إيجابي ، وبقيت المقولة في مصادر النقد الأدبي لا تعبر إلا عن رأي الأصمعي ، ولم تفرض إجماعا .

3- إن الأحكام النقدية للقائلين بمقولة الأصمعي : تارة جزئية ، متعلقة بغرض الرثاء فقط ، وتارة أحكاما عمومية تشمل كل شعره ، حيث اكتنفها بعض الغموض، فجاءت آراؤهم مثارا للجدل، وحاولوا قراءة مقولة الأصمعي واستنتجوا من قراءتهم بعض الأحكام والقيم النقدية، فأضافوها إلى مقولة الأصمعي لتأكيد رأيه في حكمه على الشعر الإسلامي لحسان، بالليونة والضعف، و تبرير قراءتهم لمقولته.

4- أما العلماء والنقاد النافين لليونة والضعف عن الشعر الإسلامي لحسان، فقد اعتمدوا على حجج وبراهين أثبتوا من خلالها فحولة حسان في العصر الإسلامي، وبرهنوا على أن ما بحث عنه الأصمعي ووجده في الشعر الإسلامي لحسان، إنما هو في الشعر المنحول عليه لأسباب سياسية، وأخرى دينية، وثالثة لاختلاط الرواية، الشيء الذي جعل الرواة يحملون عليه ما لم يحمل على غيره من الشعراء ، فتباين ذلك للأصمعي فسماه ليونة وضعفا.

5- إن ما يلفت الانتباه في آراء النافين الضعف والليونة عن شعر حسان، كونهم شكلوا إجماعا حول فحولة حسان في الإسلام، وقد لاحظوا من خلال تتبعهم لتطور المستوى الفني للشعر الإسلامي لحسان، ومسايرته للتطور الحضاري، وتجاوبه مع الحركة الفكرية والأدبية والدينية والفنية والنقدية في عصره، وأخذه من أسلوب القرآن العظيم، أن فحولته لم تفارقه، وهذا ما أدى بحسان إلى قول الشعر في كل الأغراض بجدية وصدق وواقعية، وبرؤية فنية تعكس روح عصره، بعيدا عن المبالغة والخيال الكاذب . فجاء شعره يمثل الضمير الإسلامي، في الوقت الذي وقفت فيه قريش بشعرائها معارضة للرسول – صلى الله عليه وسلم -، ورافضة رسالته وللدين الجديد الذي جاء به.

6- وبالتالي فإن ما يمكن استنتاجه بالموازنة بين الرأيين أو القراءتين، هو أن الأصمعي إنما أصدر حكمه حينما أصدره في غير محله، لأنه انصب على شعر لم تثبت نسبته إلى حسان، ويبقى الشعر الذي ثبتت نسبته إلى حسان قويا في الجاهلة والإسلام .

الهوامش :

القرآن العظيم برواية ورش عن نافع .

1- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: الشعر والشعراء، قدم له: حسن تميم، راجعه وأعد فهارسه: محمد عبد المنعم عربان، بيروت ، دار إحياء
العلم ، د.ت ، ص.192

2- أبو عبد الله محمد بن عمران موسى المرزباني : الموشح مآخذ العلماء على الشعراء في عدة لأنواع من صناعة الشعر ، تحقيق : علي محمد البعاوي.
نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.ت ، ص 71 .

3- ابن عبد البر : (على هامش الإصابة) الإصابة في معرفة الصحابة ، دار العد العربي ، د.ت.ج1، ص760.

4- محمد الأزهر باي : حسان بن ثابت شاعر الجاهلية والإسلام ، مركز النشر الجامعي ، تونس، 2005 م ، ص91.

*عمل دواوين تسع وثلاثين شاعرا جاهليا وإسلاميان بما في ذلك ديوان عبد الرحمن بن حسان، وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان، وروى شعر امرئ
القيس ، وشعر رؤبة ، ونقائض جرير والفرزدق .

- محمد ابن اسحاق النديم : الفهرست ، حققه وقدم له : مصطفى الشويمي ، تونس ، الجزائر ، دار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب ،
1406ه 1985م ،ص ص 252- 253 .
5- مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، جمهورية مصر العربية ، د.ت ، ص606 .
6- المصدر نفسه ، ص 606 .
7- عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن الكريم ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، دار القلم ، د . ت .ج3 ، ص .134
8- أبوهلال العسكري: الفروق في اللغة، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي،ط7،بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، 1411ه 1991م ص.163
9- محمد إبراهيم جمعة : حسان بن ثابت ، في سلسلة نوابغ الفكر العربي ، ط2، دار المعارف مصر،1971م،ص37.
10- المرجع نفسهء ، ص 37.
11- المرجع نفسه ، ص 37 .
12- المرجع نفسه ، ص37 .
13- محمد عبد العزيز الكفراوي : تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وعصر بني أمية ، القاهرة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة ، د.ت ،
ج1، ص39.
14- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، القاهرة ، دار المعارف ، 1995م . ص ص29 – 30 .
15- عبد الله حمادي :الشعرية العربية دراسات نقدية ، ط1، الجزائر ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ، ديسمبر 2001م، ص 84 ومابعدها .
16- محمد عبد العزيز الكفراوي : تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وعصر بني أمية ، ج1، ص.39
17- ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر،جده،دار المدني، د.ت. ج1. ص217.
- ينظر : أبو علي الحسن بن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، حققه وفصله وعلق عليه : محي الدين بد الحميد ، ط1، القاهرة ، دار الطلائع للنشر والتوزيع ، 2006 م ،ج1، ص26.
- وينظر : تاج الدين أبي عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الجاو ، دار إحياء الكتب العربية ، د.ت، ج1، ص223.
18- مسلم : صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ، ص 48 ، و ص59.
19- فؤاد أفرام البستاني : حسان بن ثابت ، سلسلة الروائع رقم 33، ط 6، بيروت ، منشورات دار الشروق، ص147.
20- محمد إبراهيم جمعة : حسان بن ثابت ، ص38 .
21- عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص ص29 – 30 .
22- المرجع نفسه،ص 30.
23- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق وتعليق : علي محمد معوض وعادل أحمد
عبد الموجود، وقدم له : محمد عبد المنعم البري وجمعة طاهر النجار ،ط1، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، 1415ه 1995م ،ج1،ص407 .
- وينظر : المرزباني : الموشح ، ص 70 .
24- أبو الوليد علي بن الحسن الأصفهاني : الأغاني ، طبعة دار الكتب 1373هـ ، ج9، ص727.
25- محمد إبراهيم جمعة : حسان بن ثابت ، ص63.

26- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج6 ، ص106.
27- عبد الله حمادي : الشعرة العربية دراسات نقدية ، 61.
28- المرجع نفسه : ص 84 وما بعدها.
29- المرجع نفسه : ص84.
**إشارة الى قوله تعالى: ((وَالشُّعَرَاءُ يَتْبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ إِلاّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)) [الشعراء الآيات 224. 225. 226. 227.]
30- عبد الله حمادي : الشعرية العربية دراسات نقدية ، ص89 .
31- المرجع نفسه ، ص 91.
32- نقلا عن : عبد الله حمادي : الشعرة العربية دراسات نقدية ، ص85 .
- أبو علي محمد ابن الحسن بن المظفر الحاتمي : حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، تحقيق : جعفر الكتاني ، دار الرشيد، بغداد ، 1979م ، ج1، ص195.
33- نقلا عن عبد الله حمادي : الشعرية العربية دراسات نقدية ، ص87 .
-رومان ياكبسون: قضايا الشعر، ترجمة: محمد الولي و مبارك حنوز، دار تويقال، الدار البيضاء، المغرب، 1988م، ص11.
34- عبد الله حمادي: الشعرية العربية دراسات نقدية ، ص87 .
35- محمد بن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، ج1، ص 215.
36- شوقي ضيف : العصر الإسلامي ، ط 4، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، 1971م ، ص.80
37 - المرجع نفسه ، ص80.
38- عبد الرحمن البرقوقي : شرح ديوان حسان بن ثابت، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، 1401هـ1981م، ص ص 27- 28 .
39- المصدر نفسه ، ص 28 .
40- شوقي ضيف : العصر الإسلامي ، ص 81.
41- المرجع نفسه ، ص.80
42- محمد طاهر درويش : حسان بن ثابت ، ص.504
43 - المرجع نفسه ، ص 505.
44- المرجع نفسه ، ص 507 .
45-محمد إبراهيم جمعة : حسان بن ثابت ، ص .37
46- المرجع نفسه ، ص .39
47- فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 103 .
48- المرجع نفسه ، ص.118
49- المرجع نفسه ، ص.118
50- عبد الله بن محمد أبو داهش: شعراء حول الرسول φ، ط1،نادي المنطقة الشرقية الأدبي،1417هـ1997م، ص32.
51 - منذر معاليقي : دراسات نقدية في الأدب الإسلامي ، ط1 ، طرابلس، لبنان ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، 2004م ، ص65 .